

9

قصص المبشرون بالجنة

سلوى العناني

رجل من
أهل الجنة

دار اللطائف

للطباعة والنشر

رجل من أهل الجنة

(سعد بن أبي وقاص)

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِنْ جَاءَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطْفِئْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }

[لقمان : 15]

هذه الآية الكريمة حكاية .. فقد نزلت في موقف إنساني
نادر .. قد يكون الوحيد في تاريخ البشرية ...

فما هي هذه الحكاية ؟ .. ومن هو بطلها ؟

بطلُ الحكاية صحابيٌ جليلٌ من صحابة الرسول عليه
السلام - هو (سعد بن مالك الزُهري) والمعروف باسم
(سعد ابن أبي وقاص) الذي تحدث عن نفسه فقال :

"أتى على يومٍ ، وإنى لَتَلْتُ الإسلامَ " ..

وهذا يعني أنه كان ثالثَ أول ثلاثة رجل دخلوا الإسلام

والأغنياء وصفوة قريش .. وينضم إلى قافلة الفقراء التي
يقودها الفقير اليتيم (محمد بن عبد الله) ؟؟؟

وتكون صلوة أمه فيه كبيرة .. فهذا فتاها (سعد) ينتظره
مجد و ثراء ، فلذا به يهجر هذا كله ويعتق دينًا جديدًا ..

وتغضى أيام الحوار بين سعد وأمه .. ومعها ليالي التهديد
والوعيد ..

لكن الإيمان القوى لم يهزم أمم الوعد .. ولا الوعيد ،
ولم تجد الأم طريقًا واحدًا تهزم به إصرار ابنها .. فقد
أعلنت صومها عن الطعام والشراب حتى يرجع ابنها عما
هو فيه ، ويرتد إلى دين آبائه وأجداده ..

واستمرت الأم في إصرارها حتى تدهورت صحتها
وأشرفت على الموت ..

فاجتمع أهل (سعد) وذهبوا إليه يسألونه أن يلتقى على
أمه نظرة الوداع وقد أيقنوا أن صورة الأم على هذه الحال
ستعيد للفتى (صوابه) فيرتد عن دينه لينفذ أمه ..

وذهب سعد ..

ورغم قسوة الموقف .. فإن صوت الإيمان القوي كان
يهتف في عقله وقلبه فيعطيه القوة على تحمل ما هو فيه ..
اقترب سعد من أمه .. أمسك بكفها المزيّلة الباردة ..
ارتعش صوته قليلاً ، فقد تحركت مشاعره تجاهها .. ثم قال :
" تعلمين والله يا أمه .. لو كانت لك مائة نفس ،
فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء .

فكُلّي - إن شئت - أو لا تأكلِي " ..

وأمام هذا الإصرار القوي عدلت الأم عن قرارها
وأقبلت على طعامها وشرابها ، فقد اكتشفت أن (إضرابها
عن الطعام) لن يتنى ولدها (سعد) عن قراره .

لقد تمكن الإيمان منه وأصبح عنده أغلى من كل ما في
الحياة ، ونحية لهذا الموقف نزل الوحي الكريم يقول :

(وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا

لِطَعْنِمَا) ..

جلس النبي يوماً مع أصحابه .. فلذا به يتطلع إلى الأفق
وكانه يسمع همساً .. ثم نظر إلى أصحابه وقال لهم :
"يطلع عليكم الآن رجلٌ هو من أهل الجنة" .

ويلتفت الصحابةُ في كل اتجاه .. وما هي إلا دقائق حتى
أهلَّ (سعدُ بن أبي وقاص) عليهم .. فعرفوا أنه (مُبَشِّرُ
بلجنة يُلذِّن الله) .

يُروى عن رسول الله عليه السلام ، أنه كان إذا أتى سعدُ
إلى مجلس وهو بين أصحابه داعب (سعدًا) قائلاً ..
(هذا خالي .. فليروني امرؤ خاله) .

نعم .. كان سعدُ بنُ أبي وقاص في مكانةٍ الحظي للنبي
الكريم فجده أهيب بن مناف هو عمُ السيدةِ أمِّة بنت
وهب أم رسول الله .

كان سعدُ بن أبي وقاص هو أولُ من رمى سهمًا في
سبيلِ الله ، فقد تخرج على رأسِ سريةٍ من سرايا التي
بعث بها النبيُّ بعد الهجرة إلى المدينة للشار من قريش

باعتراض قوافلها .. وعندما التقى المسلمون بإحدى هذه القوافل .. رمى سعدُ سهما من قوسه (فكان أولَ من رمى في الإسلام) ..

أما أنه الوحيدُ الذي افتداه الرسولُ بأبويه ، فقد كان في غزوة (أحد) وقد انقلب ميزان الحرب على المسلمين بعد أن كانوا قد انتصروا ، لكن مخالفة بعضهم لأوامر النبي جعلت (قريشًا) تتنهز الفرصة فتعود لتثأر لهزيمتها .. وساد المرح في صفوف المسلمين ، وأشاع البعض أن النبي قد قُتل ..

والتفت كوكبةٌ من غيرة الصحابة حول الرسول تدافع عنه وعن دينها منهم (سعد بن أبي وقاص) يقف إلى جانب النبي يرمى بالنبل وكان الرسول يتأوله ويقول : "أرم .. فذاك أبي وأمي" ..

ولم تكن هذه فقط هي بطولات (ابن أبي وقاص) الحربية .. فقد عرف عنه الشجاعةُ والقدرةُ القتاليةُ الفلّنةُ

طيلة حياته ، يدفعه إلى ذلك يقينه الصلب ، وإخلاصه العميق وإيمانه الصادق بدينه وبرسوله ..

كان بطلاً في (بندر) .. وفي (أحد) .. وفي كل الغزوات الأخرى ، فعرف الصحابة عنه هذه القدرة القتالية الفريدة ..

كان يوماً حاسماً في تاريخ الإسلام .. هذا اليوم الذي اجتمع فيه رأى أصحاب (الشورى) على ألا يقود الخليفة (عمر بن الخطاب) الحملة الكبرى ضد (الفرس) وكان الخليفة قد أخذ قراره هذا بعد أن شعر بخطورة الهجمات المسلحة المتكررة من جانب الفرس على المسلمين ، كما تضاعف عنده إحساس الخطر بعد أن تراجع بعض أهل العراق عن عهودهم ومواثيقهم مع خليفة المسلمين في المدينة ..

ونزل الخليفة عمر بن الخطاب عن قراره أمام إصرار (الجماعة) ثم سألهم عن مختارون لهذه المهمة .. وساد

صمتٌ طويلٌ .. المسئوليةُ كبيرةٌ ولا بد أن يكون الاختيار
عسوياً ..

وجاء صوتُ الصحابي (عبد الرحمن بن عوف) ليقطع
هذا الصمتَ ويطرحَ اسمَ القائد الذي اختاره ..
"الأسد في برائته" ..

واختلطت المهمات تحمل سؤالاً واحداً ..
من هو المقصودُ بهذا الاسم "الأسد في برائته" ..
قل عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ (سعد بن مالك الزهري) .
وصاح الجميعُ في صوت واحدٍ .. نعم هو لها . (سعد بن
أبي وقاص) .

إن جيشَ المسلمين لا يزيد على ثلاثين ألف مقاتل
مسلحين بسلاح بسيط .. مجرد سيوف ورمح ..
بينما كان جيشُ الفرس يزيد عدده على مائة ألف من
المقاتلين المدربين والمزودين بأسلحة ومعدات ليس للعرب
معرفةٌ بها ، كان على رأسهم القائد المشهود له (رستم) .

فمن هو القائد العربي المسلم الذي يتحمل مسئولية
هذه المواجهة ؟؟ ..

إنه "الأسد في برأته" .. إنه (سعد بن أبي وقاص) ..
الذي خرج على رأس جيش المسلمين متوجها إلى لقاء
الفرس عند (القادسية) ..

في كل يوم كان رسول (خليفة رسول الله) يصل إلى سعد
حاملًا النصيح والتوجيه ..

- "يا سعد بن وهيب .. لا يغرنك من الله أن قيل : خال
رسول الله وصاحبه ، فإن الله ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ إلا
بطاعته .. والناسُ شريفهم ووضيْعُهم في ذات الله سواء ..
الله ربهم وهم عباده .. يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند
الله بالطاعة .. الأمر الذي رأيت رسول الله عليه السلام منذ
بعث إلى أن فارقنا عليه ، فالزمه ، فإنه الأمرُ ..

اكتب إلى جميع أحوالكم .. وكيف تنزلون .. وأين يكون
عدوكم منكم .. واجعلني كأني أنظر إليكم" ..

ويرسل سعد إلى الخليفة (عمر) أن (رستم) قائد الفرس قد جمع خيوله تتقدمها الفيلة ، ووقف قبالة جيش المسلمين . فيرد (عمر) : (لا يكرينك ما تسمع منهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجلا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه إلى الله ..) .

ويذهب وفد المسلمين إلى معسكر الفرس ويلتقي (برستم) ثم يعود بإجابة قائد الفرس .. إنها الحرب . يا الله .. إنها اللحظة التي يتمناها (الأسد في برائه) أن ينطلق بسيفه (يعون من الله) ليقتل على (عبادة النار) .. إنها فرصته كي يعلى صهوة جواده ويصوّل ويحول وسط هؤلاء التكبريين ، ويعلى كلمة الحق وينصر شعار (الله أكبر) ..

لكن .. لكنه المرض اللعين يداهم الفارس في يوم كان يراه يوم عرسه فيعوق نشاطه ويحد من حركته .. لابد أنها حكمة إلهية ألا يشارك (سعد بن أبي وقاص)

فى أهم المواقع الحربية فى التاريخ الإسلامى رغم أنه كان قائد الجيش ..

وتدور رحى الحرب ، وترجع كفة المسلمين رغم أن كفة العدو كانت هى الأرجح عدداً وعدة .. لكن الإيمان الراسخ والاستهانة بالروح والنفس جعل فى ساعد كل مسلم كتيبة محاربين ..

ويُقتل قائدُ الفرس (رستم) الذى كان أسطورة قومهِ .. ويمضى قرابة عام على نصر المسلمين فى موقعة القادسية .. والفرس يحاولون مرةً أخرى جمع فلولِهِم وتنظيم صفوفِهِم عليهم يقدرّون على مواجهة هذا الطوفانِ الهادرِ القادم من الجزيرة العربية .. فيُحصنون بعاصمتهم (نهاوند) ..

ويقرر (سعد) استكمالَ رسالته وهدفهِ الأول وهو (إطفاءُ النارِ المعبودة) وإعلاءَ كلمةِ الله الحق ..

ويقف نهرٌ (دجلة) مانعاً مائياً ضخماً لم يعرف العربُ التعامل معه من قبل ..

هنا تتجلى العبقرية العسكرية للقائد (سعد بن أبي وقاص) فقد اختار موقعا ليس عميقا .. ثم جهز كتيبتين على رأس كل منهما قائد شجاع وكلفهما بعبور النهر في البداية لتأمين عبور باقي قوات الجيش .. ثم كان العبور الكبير ..

انطلقت صيحة (ابن أبي وقاص) .. حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقفز بجواده إلى ميه (دجلة) فتبعه جنوده يهللون ويكبرون حتى اكتمل عبورهم ووصلوا إلى (نهاوند) .. كان أمرا حتميا أن يتولى سعد بن أبي وقاص إمارة العراق .. وهناك أدار دفعة التعمير وأرسى قواعد الدين الخفيف مؤسسا مجتمعا إسلاميا كامل الأركان اجتماعيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ..

عاد سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ، وفضل البقاء هناك إلى جانب الخليفة عمر .. وغيره من صحابة رسول الله يعطى المشورة إذا طُلب منه ذلك في أمور السياسة والحكم ..

إلا أن (سعدا) لم يشارك فيما ظهر على سطح الحيلة
الإسلامية من خلافاتٍ و نزاعات وصل بعضها إلى حدِّ
القتال (كما في الفتنة الكبرى بين الإمام (علي) ومعاوية
ابن أبي سفيان) ..

ولما حضره الموتُ وكان جاوز الثمانين استقبله بروح
الرجل القوى الإيمان ، الشديد التقوى الواثق من رحمة
ربه ، وكيف لا وهو صاحب بشارة رسول الله بلجنة ؟...

ولما شعر بدنو أجله طلب من أهله أن يأتوا إليه بثوب
قديم بل كان يحفظه في مكان آمن وأمر أن يكفشوه به ..
وقال :

(لقد لقيت المشركين فيه يوم (بدر) .. ولقد ادخرته لهذا
اليوم) ..

ها هو ذا الرجل يختار ثوب عرسه الذي يريد أن يُرفَّ به
إلى جنات النعيم ..

ثوب الجهاد في سبيل الله .. ثوب الشرف الذي مزقته

الرمح .. وهتكته السيوف ..

هذا هو الثوب الذي اختاره (سعداً) كي يلقى فيه ربه ..
شهقة من الدنيا تزكيه في الآخرة .. وهو الغنى عن هذه
الشهقة ..

فهو القائل : (إن الله لا يعذبني أبداً .. إني من أهل
الجنة) .

بكى المسلمون (سعداً) كما لم يبكوا أحداً منذ ودّعوا
رسول الله ..

فقد كان سعداً هو آخر من بقى من المهاجرين .. وبوفاته
طوى التاريخ صفحةً مضيئةً من الحياة ..

صفحةً حروفها تقوى الله ، وكلماتها الإيمان الحق ،
وسطورها الجهاد في سبيل الله .